سيميائية مقامة شمس الخلافة للوهراني

Semiotic maqama of the Sun of Caliphate of Al-Wahrani

طالب دكتوراه: الصافي ضيف الله
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
safimask@gmail.com

ملخص:

مما يميز الوهراني طابع الفكاهة والتنوع في الكتابة، فنجده يكتب الرسائل والمقامات والمنامات ويقرض الشعر، بالإضافة إلى اختلاف مادة نصوصه، فموضوعاته متنوعة سياسية واجتماعية ولغوية..، ولهذا أردنا دراسة أحد مقاماته سيميائيا حتى نستخرج دلالاتها، وحتى نتعرف على هذا الأديب. ومن النتائج التي يمكن أن نخرج بها، أن مقامة شمس الخلافة عكست ظروف عصر الوهراني، خاصة في الجوانب الثقافية والاجتماعية، كما أن المنهج السيميائي قادر على استخراج مكنونات نصوص الوهراني، وهذا لا يعني أن المناهج الأخرى قاصرة، بل كل منهج يركز على جانب ما، وما يميز السيميائية أنها لا تكتفي بالظاهر وإنما تهتم بالتأويل والدلالة.

الكلمات المفتاحية: مقامة، الوهراني، سيمائية، سردية، دلالة.

Abstract:

What distinguishes Al-Wahrani is the character of humor and diversity in writing, so we find him writing letters, and al-maqamat and al-manamat, and poetry, in addition to his various political, social and linguistic topics .. Therefore, we wanted to study one of his maqamat in order to extract its connotations, and to get to know this writer. Among the results that we can come out with is that the maqama of the Sun of the Caliphate reflected the circumstances of the era of Al-Wahrani, especially in the cultural and social aspects, and the semiotic method is able to extract the semantics of the texts of Al-Wahrani, because it is not satisfied with the apparent but is concerned with interpretation.

Key words: Maqamah, Al-Wahrani, semiotic, Narrative, connotation.

1.مقدمة:

إن محمد بن محرز الوهراني من الأدباء الجزائريين المبدعين في القرن السادس الهجري، واشتهر بنص "المنام الكبير"، الذي عالج موضوعات متعددة بأسلوب فريد، تجاوز مناماته إلى رسائله ومقاماته،

وهو يعدّ من الأدباء الذين تمكّنوا أيضا من فن المقامة، بحيث يرى فيها عمر بن قينة: ((أنها أول لبنة في هذا النوع الأدبي، في الأدب الجزائري، و الرجل إن جاء بعد علمين في هذا الفن بالمشرق العربي، الهمذاني والحريري فقد تميز بعمله ، في شخوصه و أحداثه وحتى أسلوبه ، وبلغته المختلفة المستويات ، بمفرداتها نفسها، من هنا كان إبداع ابن محرز الوهراني جديرا بالتقدير ، لا لأنه عكس جانبا من حياة عصره فقط بل لأنه أسهم في إعطاء دفع متميز للأسلوب في الأدب العربي، لقد كانت مقامات ابن محرز الوهراني في القرن السادس الهجري تجربة أولى أصيلة بهذا الفن في الأدب الجزائري ، وقفت في مستوى التجارب الأولى بالمشرق العربي ، لكنها تميزت بنكهتها الخاصة، وتجاوزها الرتابة وتنويعها في الشخصيات ، من دون البقاء في أسر النمطية اللفظية والفكرية))1.

وحول تعريف المقامة، جاء في لسان العرب: ((هي المجلس أو الجماعة من الناس))2، ثم بعد ذلك أصبحت تدل على تلك الأخبار التي تجري بين الجماعة في ذلك المجلس، وفي ذلك يقول شوقي ضيف: ((ولما كانت مجالس الناس تحتم وجود أحاديث في موضوعات كثيرة أصبحت الدلالة الاصطلاحية للمقامة لا تحيل على المجس مباشرة بل على الأحاديث التي تلقى فيه))3، ولكننا نلاحظ أن هذا المفهوم تطور أيضا، وذلك بتطور الأحاديث التي كانت تجري في تلك المجالس، والتي أصبحت تقترب من السرد القصصي، يقول عبد الله إبراهيم: ((وكانت تلك الأحاديث تعنى أول الأمر بقضايا الدين من نصح وإرشاد ووعظ، ، قبل أن تنتظم في نمط من الأحاديث التي تتميز بقواعد محددة سواء في شكل الإسناد أم تركيب المتن،لم تعد المقامة وقد استقامت نوعا قصصيا تقترن بالحديث ذلك أنها أصبحت تحيل على وقائع متخيلة مسندة إلى راوٍ وهمي يختلق متنا وهميا))4، بمعنى أن المقامة أصبحت فنا له قواعده وخصائصه وأسلوبه.وأمور اللغة من ألفاظ ومرويات لغوية، ووقائع التاريخ كأيام العرب وحروبهم وأخبار خلفائهم وولاتهم.

هذا فيما يخص جانب المقامة، أما فيما يخص منهج الدراسة فلقد حققت السيميائيات السردية narrative Sémiotique قفزة نوعية في دراسة الأشكال السردية بخاصة والتجليات اللسانية بعامة، ولقد اختلف الدارسون في طرق التحليل السيميائي للنصوص، وانطلاقا من فرضياتهم سنحاول دراسة نص المقامة البغدادية في مستواه السطحي والعميق، عبر مختلف المكونات السردية والخطابية والدلالية والمنطقية، من أجل تبيين العلاقات التي تربط بين عناصر النص وتنتج المعنى.

وقبل أن نبدأ ارتأينا أن نعطي لمحة قصيرة عن حياة هذا الأديب، ويبدو أن أقدم مصدر ترجم للوهراني هو كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، يقول صاحبه: ((أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين، و قيل جمال الدين، أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين(564–589هـ)، رحمه الله تعالى، و فنّه الذي يمتّ به صناعة الإنشاء ، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل(529–596هـ) و عماد الدين الأصبهاني (519–597هـ) الكاتب و تلك الحلبة، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجد و سلك طريق الهزل ، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به و المنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، و فيها دلالة على خفة روحه و رقة حاشيته و كمال ظرفه ، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته ، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد و أقام بدمشق زمانا، و تولى الخطابة بداريا ، و هي قرية على باب دمشق في الغوطة، و توفي في سنة خمسة و سبعين و خمسمائة بداريا ، رحمه الله تعالى ، ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليماني الداراني. نقلت من خط القاضي الفاضل: وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني))5. ومن خلال هذا التعريف يظهر أن الوهراني شخصية متعددة المواهب، فهو أديب وفقيه، كما لاحظنا أن ابن خلكان رد سبب كتابات الوهراني الهزلية إلى عدم مقدرته على مجاراة بعض الأدباء في عصره أمثال القاضي الفاضل–ولكن قد لا يكون هذا هو السبب الوحيد لذلك، فيمكن أن الوهراني أراد أن يتميز عن غيره فلجأ إلى ذلك النوع من الكتابة– ثم بعد ذلك يعترف له بخفة روحه، ويثني على المنام الكبير.

إذن من خلال ما سبق، ما الذي يميز مقامات الوهراني؟ وما الذي أضافته في الأدب العربي بشكل عام وفي الأدب الجزائري بشكل خاص؟ وهل المنهج السيميائي قادر على استخراج مكنونات نصوص الوهراني؟

2.تقطيع النص[6] :

*- **المقطع الأول :** من: "حدثنا عيسى" في بداية الصفحة 97... إلى: "مغربي الطينة"، في نهاية الصفحة ، وتناول فيه الراوي ظروف سفره من صقلية إلى الشام واستقراره في جلق وملاقاته للرجل المغربي.

*- **المقطع الثاني :** من: "قال عيسى" في بداية الصفحة 98... إلى نهاية المقامة في الصفحة 102، و تناول فيه حواره مع صاحب الرجل المغربي الذي قص عليه قصة هذا الأخير من بداية حضوره إلى جلق وكيف تغيرت أحواله.

3.بنية التجلي:

وملخص القصة أن الوهراني نسب الرواية إلى عيسى ابن حماد الذي حكى له كيف انتقل من صقلية إلى الشام ، و بعد أن استقر في جِلَّق[7] التقى برجل مغربي الأصل غريب الأطوار فأخذه الفضول وسأل عنه أحد أصحابه فأخبره أنه من قسنطينة و بأنه جاء فقيرا وتغيرت أحواله بعد أن تزوج من امرأة مغربية تقيم هناك، و يبدو أنها كانت ميسورة الحالة فأرادت أن تعلمه وتجعل منه فقيها إلا أن غباء الرجل حال دون ذلك ، ولكنه فيما بعد أصبح ذا مال و جاه فتغير على زوجته.

كل ذلك سرده الوهراني بطريقة هزلية ساخرة تناول فيه قضية المظاهر التي يجب ألاّ تخدعنا.

4. البنية السطحية :

1.4.لمكون السردي :

في النص الكثير من الأحداث والأفعال تتخللها الكثير من الحالات والتحولات، وحتى نحللها يجب دراسة البنية العاملية وكذا البرنامج السردي، واستعنا بتعريف غريماس لهذين المفهومين، بحيث ينظر إلى النموذج العاملي وفق ثلاثة أزواج:

((- المرسل/المرسل إليه: أو محور التواصل: و دور العامل المرسل هو إقناع العامل الذات بالبحث عن موضوع القيمة، أما المرسل إليه فهو المستفيد من الموضوع.- الذات/الموضوع: يشكل هذا الزوج قطب الرحى في النموذج العاملي، إذ يشكلان محور الرغبة، أي أن الذات ترغب في الحصول على موضوع القيمة، ويكون هذا بعد إقناع الذات من قبل المرسل، أما الموضوع فهو المرغوب فيه من قبل الذات.- المساعد/المعاكس أو المعارض: يشكلان محور الصراع، فالمساعد يساعد العامل الذات في البحث عن موضوع القيمة، أما المعاكس فيعيق الذات في الحصول على موضوع القيمة. إن النموذج العاملي بوصفه نسقا، بنية ساكنة، ولا يتم تحريكها إلا من خلال العبور من النسق إلى الإجراء عبر برنامج سردي من أربعة مراحل:- التحفيز أو الإيعاز: حيث يتم إقناع العامل الذات من قبل المرسل بالبحث عن موضوع القيمة، ويقوم العامل الذات بتأويل هذا العمل الإقناعي.- القدرة أو الكفاءة: إن الإقناع والاقتناع ليسا كافيين لتحقيق الرغبة، بل لابد من تحقق القدرة، أي الشروط الضرورية لتحقيق الإنجاز، وتتلخص في إرادة الفعل، والقدرة على الفعل ووجوب الفعل ومعرفة الفعل.- الإنجاز: وهو كل عملية تحقق تحولا لحالة، وهذه العملية تقتضي عاملا هو الفاعل الإجرائي، إننا ننتقل مما هو محين إلى ما هو محقق ، والتحقيق يتطلب برنامجا أساسا هدفه الحصول على موضوع القيمة، غير أن تحقيق الرغبة خاضع للبنية الجدلية التي تحكم النموذج العاملي، إذ نجد برنامجا مضادا يقوم به فاعل إجرائي مضاد.- الجزاء: إنه الحكم على الإنجاز ، فالمرسل هو الذي يحكم على نجاح البرنامج السردي أو فشله، باعتباره فاعلا تأويليا))8.

يوجد ثلاث مستويات للرواية بحيث يلعب الوهراني (الراوي الأول) دور المرسل الذي يريد أن يتواصل مع المرسل إليه أو المتلقي الضمني ، فيحكي هذه المقامة ، ثم يأتي عيسى ابن حماد الصقلي (الراوي الثاني وأحد شخصيات المقامة)، بحيث ينتقل من صقلية بدافع اختلال الإسلام فيها (إيعاز)، إلى مدينة جلق (العامل الموضوع)، بعد أن عانى الصعاب للوصول إليها، و يمكن أن نعتبر تلك المعاناة بمثابة المعيقات التي اعترضت طريق عيسى ابن حماد (العامل الذات)، ثم يتعرف هذا الأخير على الرجل مغربي والذي سيصبح موضوع قيمة، لأن العامل الذات كان في انفصال عنه و يريد أن يعرف أخباره بدافع الفضول (إيعاز)، فيستعين بأحد كان يأنس له هذا الرجل المغربي (الراوي الثالث) ، وهنا يحدث بعض التحول في الأدوار، فيصبح عيسى ابن حماد المتلقي و الرجل الذي استعان به هو الراوي كما يلعب دور المساعد لأنه أعان عيسى على معرفة أخبار

الرجل المغربي ، أما هذا الأخير فيصبح العامل الذات الذي يرغب في كراء بيت حتى يستقر فيه، فتشاهده العجوز المغربية فيعجبها وتتزوجه و تريد أن تجعل منه فقيها فتعلمه، وتلعب هنا دور المساعد، ولكن غباء الرجل أعاقه عن التعلم (عامل معارض) ، وبعدها تتغير حاله فبعد أن كان فقيرا أصبح يملك المال.

و بعد أن تعرف العامل الذات (عيسى ابن حماد) على الرجل المغربي و سأل عنه (إنجاز)، يكون بذلك قد أشبع فضوله و حقق ما يرغب فيه (جزاء) ، و بذلك فقد تحقق البرنامج السردي في هذه المقامة .

2.4.المكون الخطابي :

1.2.4.سيميائية اللغة : كتبت المقامة بلغة منمقة فيها الكثير من الأسجاع مثل : رزاز ، خباز/ الفور، الثور/ البلاء ، الدلاء... أما الجناس فهو قليل جدا مثل : النفاق ، الزعاق / القمة ، العمة ... و الطباق مثل : يرفعه ، يضعه / الطول ، العرض / صغيرا ، كبيرا / كله ، أقله...

وهذه المحسنات تدل على الثروة اللغوية للمؤلف ، كما أنها تضفي نوعا من الإيقاع الموسيقي في المقامة، بالإضافة أنها من خصائص فن المقامة .

وبالنسبة للأساليب فنجد الاستفهام بمختلف أدواته مثل :" كيف ذاك ؟ من أين لي بالخير؟ ألست تعلمين ؟...". والشرط مثل : "لما اختل في صقلية... هاجرت .../ إن صدقت فأنا أكون ...".

وبالنسبة للأفعال نجد كثرة الأمر، والذي يدل على الطلب وتوجيه الخطاب وذلك مثل : "اعلم، أنفخ، باكر، أحضر، أحفظ..."، و أيضا الأفعال الماضية مثل : "خرج، عزم ، قال ، حاول..." و التي تلائم سرد الأحداث التي مضت و تدل على الحركة .

و يتميز الوهراني بتوظيف الألفاظ المناسبة لمعانيها، و لهذا فقد جاءت لغته سهلة و موحية إلا بعض المفردات التي يظهر بأنها غريبة مثل : "التركاش ، كاش ، اللوالك...".

و مما حقق الاتساق بين مفردات النص و عباراته توظيف و تكرار بعض الحروف مثل الواو الدالة على الجمع بين المتعاطفين و الفاء بمختلف معانيها مثل : "فأنا، فتوسمت ، فقلت..." ، وكاف التشبيه مثل :" كالثور ، كالخف...".

أما توظيف الضمائر فقد تنوعت بين السرد بضمير الغائب مثل كلام الوهراني : "حدثنا ، قال..." ، والسرد بضمير المتكلم مثل كلام عيسى ابن حماد : "هاجرت ، رأيت ...".

2.2.4.سيميائية الشخصيات :

أ- **سيميائية الأسماء :** يوجد أربع شخصيات في هذه المقامة، ثلاثة منها لم يعط لها الراوي أسماءها، وإنما أطلق عليها صفات فقط، هي الشخصية التي حاورها عيسى بن حماد والرجل المغربي والعجوز المغربية، فكلمة العجوز تدل على كبر سنها، وكلمة المغربية تدل على نسبتها إلى بلاد المغرب، أما الشخصية الرابعة فهي عيسى بن حماد الذي يبدو أنه شخصية خيالية لأننا لم نجد له تعريفا في كتب التراجم ، و ربما اختار المؤلف هذا الاسم تشبيها له بعيسى بن هشام بطل مقامات الهمذاني، ولقد جاء في لسان العرب أن: ((كلمة عيسى هي اسم المسيح، وقال الجوهري: عيسى اسم عبراني أوسرياني، والجمع العيسون))[9]، أما كلمة حماد ((فمشتقة من حمد، مصدرها الحمد وهو نقيض الذم، وحمد الله الثناء عليه، ورجل حُمَدَةٌ كثير الحمد، ورجل حَمَّاد مثله)) [10].

ب- **سيميائية البناء الداخلي و الخارجي للشخصيات :** لا يوجد وصف صريح يدل على شعور الشخصيات وأحاسيسها ولا على شكلها وملامحها، إلا ما جاء في وصف شخصية الرجل المغربي مثل: "نبطي الشكل والعبارة، عظيم الآلة، جمع بين الجفا وغلظ القفا ..."، بالإضافة على بعض الصفات التي تدل على الغباء كوصفه بـــ: "اليقطينة، التيس، الحمار، الثور، السطل، ثقيل الإشارة ..." ، أما باقي الصفات فتدل على الجانب الأخلاقي مثل : "يأخذه التيه ويدعه و يرفعه الإعجاب و يضعه ، الأخلاق الذميمة والسعي بالنميمة، الدياصة و الرقاعة ...".

أما شخصية عيسى بن حماد فتميزت بأنها فضولية، وشخصية العجوز تميزت بالرفق والأناة والحذق، كما أراد المؤلف أن يبين أنها كانت ميسورة الحال.

بقيت الشخصية التي حاورها عيسى بن حماد، ويظهر بأنها لا تحب الرجل المغربي مما دفعها إلى نقده وسرد أخباره.

ج- الوظائف السردية للشخصيات:

- عيسى بن حماد: التنقيب وطرح الأسئلة حول شخصية الرجل المغربي بدافع الفضول.

- الشخصية التي حاورها عيسى: وظيفتها المساعدة لأنها أشبعت فضول عيسى وأجابت على أسئلته ولكن دافعها ليس فعل الخير فقط وإنما بدافع كره شخصية الرجل المغربي.

- المرأة المغربية: مساعدة الرجل المغربي ولكن ليس حبا فيه فقط وإنما حبا في نفسها.

- الرجل المغربي: ظهر بمظهر الشخصية الناكرة للجميل، والتي تجسد المظاهر الخادعة.

3.2.4. سيميائية الفضاء:

أ- الفضاء الجغرافي: جرت أحداث المقامة في الشام وبالضبط في أحد حارات جلق (دمشق)، وأثناء سرد الأحداث ذكرت بعض الأماكن مثل: صقلية التي أتى منها عيسى ، ومثل ذكر منشأ الرجل المغربي: صمولدي بمنوشهر ومنشأي ما وراء النهر، لكن بالشام والعراق مداري" وأيضا: "أما الطينة فمن قسطنطينة، وأما القبيلة فمن زويلة وأما النحلة فمن حمير الفحلة"، ثم عند سرد قصته مع العجوز المغربية ذكرت بعض الأماكن التي جرت فيها بعض الأحداث وهي : "الدكان ، السوق، المدرسة...".

ب- الفضاء النصي: يعرفه حميد لحمداني فيقول: ((وهو فضاء مكاني لأنه لا يُشَكَّل إلا عبر مساحة الكتاب وأبعاده فهو مكان تتحرك فيه عين القارئ))11، تحتل هذه المقامة ست صفحات من الصفحة 97 إلى الصفحة 102 ، في النص المطبوع، علما أن التهميشات تحتل ثلث كل صفحة تقريبا ، وهي معنونة بـــ: "مقامة في شمس الخلافة".

ج- الفضاء الدلالي: يرى حميد لحمداني أنه: ((يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بُعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام))12، استعمل المؤلف الأماكن استعمالا واقعيا حتى يضفي المصداقية على مقامته، أما ما وظفه توظيفا مجازيا فلا نجد إلا قوله: "أرهج المدرسة بالصياح "، بحيث أراد تصوير شدة الأذى الذي سببه ذلك الشخص في المدرسة من إزعاج للطلبة والمعلمين.

4.2.4.سيميائية الزمن:

إن العلاقات التي تكون بين المتن القصصي وزمن القراءة والكتابة والحكاية والخطاب هي التي تكوّن الزمن الحكائي، كما أن الزمن أنواع، ينقلها محمد عزام فيقول: ((أول مشكل يصادف الباحث تعدد الأزمنة التي تتداخل في النص الواحد واختلاف العلاقات الدالة عليها، يرى تودوروف ثلاثة أصناف من الأزمنة هي: زمن القصة: وهو الزمن الخاص بالعالم التخييلي، وزمن الكتابة أو السرد: وهو مرتبط بعملية التلفظ، وزمن القراءة: أي الزمن الضروري لقراءة النص))[13].

أ- **الإشارات الزمنية:** غلب على النص توظيف الألفاظ الدالة على المكان أما التي تدل على الزمن فهي قليلة مثل: "ليلة، اليوم، الوقت، الأوان...الخ".

ب- **زمن القصة:** وهو الزمن الذي جرت فيه الأحداث ومدته، وهو الذي تخيله الكاتب قبل أن يكتبه، وعلى حسب النص جرت أحداث المقامة بعد أن سافر الراوي من صقلية إثر اختلال الإسلام فيها في تلك الفترة، فاستقر بجلق و هناك رأى الرجل المغربي و أراد الاستفسار عنه فاستعان في ذلك بأحد الشخصيات. هذه الأحداث الأخيرة ربما دامت لساعات فقط ، ولكن عندما نسترجع أحداث قصة الرجل المغربي فالفترة التي دامتها الأحداث قد تكون شهورا و ربما أكثر.

ج- **زمن الكتابة :** لم يحدد المؤلف متى كتبت المقامة ، و كل ما يمكننا معرفته أنه بعد الفترة التي حدثت فيها الوقائع و بعد الرواية الشفوية للمقامة .

د- **زمن القراءة :** ويتعلق بحجم النص وفترة قراءته، ومنه تستولي هذه المقامة على ست صفحات يمكن أن يتصفحها القارئ العادي في ظرف عشر دقائق ، و دائما نأخذ في الاعتبار المستوى الثقافي و الحالة النفسية للقارئ .

ه- **زمن الخطاب :** مع أن المقامة فيها استرجاع لأحداث جرت في الماضي إلا أنها حافظت على الخط الطبيعي لسير الأحداث فجاءت مرتبة .

و- **الزمن المنقطع:** وتمثل في ذكر فترة اختلال الإسلام في صقلية.

ز- **الزمن النفسي:** يوجد نموذج واحد فقط ، ولم يذكره المؤلف صراحة، وإنما نفهمه من السياق وتمثل في الليلة الطويلة التي مرت على الرجل المغربي لأنه بات خائفا، وعبر عنها الراوي في قوله: "تخوف من ذلك الأمر، وبات ليلته على الجمر"، وتلك الليلة هي كباقي الليالي التي مرت على الرجل المغربي، إلا أنه أحس بطولها بسبب حالته النفسية ومشاعر الخوف التي كانت تكتنفه.

ح- علاقة زمن الكتابة بالمتن القصصي: لم يوجد زمن يحدد متى كتبت المقامة، أما العوامل التي دفعت المؤلف للكتابة، فقد تكون نقد ظاهرة نكران الجميل والمظاهر الخداعة وكيف يدعي العلم من هو ليس بعالم .

ط- علاقة زمن القراءة بالمتن القصصي: إن الوهراني هو المتلقي الأول للقصة يأتي بعده جمهور المتلقين الضمنيين، وكل هؤلاء المتلقين نجهل ظروفهم، لأنه لا يوجد أي إشارة تدل على ذلك.

ي- علاقة زمن الحكاية بالمتن القصصي: نلاحظ تقارب زمن الحكاية مع زمن متن السرد، لأن سرد الأحداث تلاءمت مع عدد الصفحات، إلا في بداية المقامة فنجد بعض الاختصار، وتجلى في إغفال بعض الأحداث التي جرت أثناء سفر عيسى بن حماد من صقلية إلى جلق، بحيث أصبح زمن الحكاية أطول من زمن متن السرد.

ك- العلاقة بين زمني القصة والخطاب: وتظهر من خلال عناصر هي:

*- **النظام الزمني:** إن أكثر الأنساق الزمنية حضورا في المقامة، هو الاسترجاع الزمني لأحداث وقعت في الماضي، مثل كلام الرجل الذي حاوره عيسى، فسرد أحداثا ماضية تخص الرجل المغربي، وهذا الأخير أيضا سرد بعضا من أخباره مثل: "مولدي منوشهر...كنت في بلدي اسكافا..."، أما الاستباق فهو قليل مثل: "فتوسمت فيه عظم الآلة".

*- **الديمومة:** وتتمثل في المدة التي استغرقتها الأحداث، وكما قلنا سابقا فهي غير محددة، كما تتمثل في معدلات سرعة السرد، والذي تتحكم فيه بعض التقنيات الحكائية مثل:

- الحذف: وذلك كتجاوز ذكر أنواع المعاناة التي مرت على عيسى بن حماد في سفره عندما قال: "بعد معاناة الضر ومكابدة العيش المر...".

- التلخيص: مثل: "وبسطته بالحديث حتى جاء بالقديم والحديث"، فلم يفصل في الكلام الذي دار بينه وبين محاوره.

- المشهد: وتجلى في الحوار الخارجي الذي دار بين الشخصيات، وكذا الحوار الداخلي من خلال كلام عيسى مع نفسه: "فقلت في نفسي: ليت شعري من ذا... فقلت في نفسي: أكون فضولي الأرض..."، وتميز الحوار بتوسطه من حيث الحجم وملاءمته وتصويره لملامح الشخصيات، مثل كلام الرجل المغربي الذي يدل على سذاجته.

– الاستراحة: والمتجلية في الوصف، وجاء أغلبه بعبارات قصيرة خاصة بتصوير الشخصيات وملامحها، ولقد أكثر فيها المؤلف من التشبيهات مثل: "كالطلل الدارس، مثل حمار العزير..."، والكنايات مثل: "أحضر ذهنك، وافتح لهذا الدرس أذنك..."، والإضافات مثل: "ثقيل الإشارة، نبطي الشكل...".

*– **التواتر:** نلاحظ في هذه المقامة أن النص حكى مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، ولم يكرر سرد الأحداث.

5. **البنية العميقة:**

1.5.المستوى الدلالي: ونتناول فيه أهم الوحدات السيميائية الدالة في النص ، ويمكن أن نقسمها إلى حقول دلالية كالتالي:

أ– **الحقل الأخلاقي:** "التيه، الإعجاب، المجون، الهزل، الرفق، الأناة، الحذق، الجفا، النفاق، النميمة، الرقاعة، الدياصة، الأخلاق الذميمة، الأخلاق الدنية".

ب– **الحقل الديني:** "الإسلام، دين محمد عليه السلام، محرما بحجة، فقيه، مفتي، المعوذتين، المنابر، إمام".

ج– **الحقل الأدبي والتعليمي:** وتمثل في ذكر الحروف وأوصافها، والاستشهاد بالشعر والأمثال والحكم، وكذا بعض الألفاظ مثل: "علم، مناظرة، مدرسة، درس، فصل في التدريس...".

د– **الحقل الجسماني:** "بطنك، ذقنك، أناملك، شفتيك، منكبيك، وجه، قفا، الأشفار، الأظفار، الأخصار".

2.5.المستوى المنطقي: من خلال مختلف الوحدات السيميائية في النص وتوسع الدلالات استنتجنا أكثر من مربع سيميائي، والمتمثلة فيما يلي:

أ- المربع الأول:

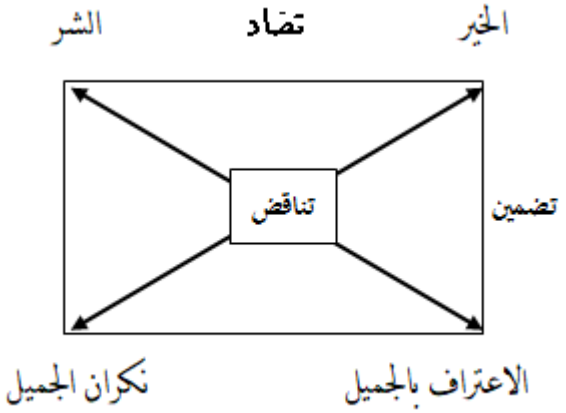

فالخير يتضمن الاعتراف بالجميل، والشر يتضمن نكران الجميل، وكلاهما متعاكسان، فالمؤلف أراد أن يعالج هذه القضية الأخلاقية، فأعطى لنا نموذج الرجل المغربي الذي تغير على زوجته بمجرد تغير أحواله، كما أن الخير عكس الشر مثلما هو حسن الأخلاق عكس سوء الأخلاق.

ب- المربع الثاني:

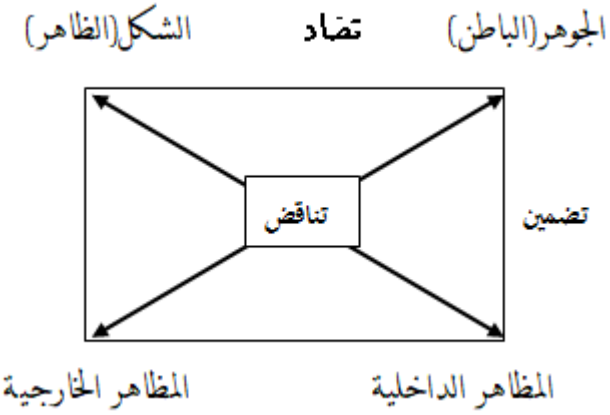

فالجوهر يتضمن المظاهر الداخلية كالتفكير والإحساس، والشكل يتضمن المظاهر الخارجية كهيئة الجسم والهندام، فالباطن هو عكس الظاهر، والوهراني من خلال شخصية الرجل المغربي أراد أن يصور لنا أن المظاهر تخدع في الكثير من الأحيان.

ج- المربع الثالث:

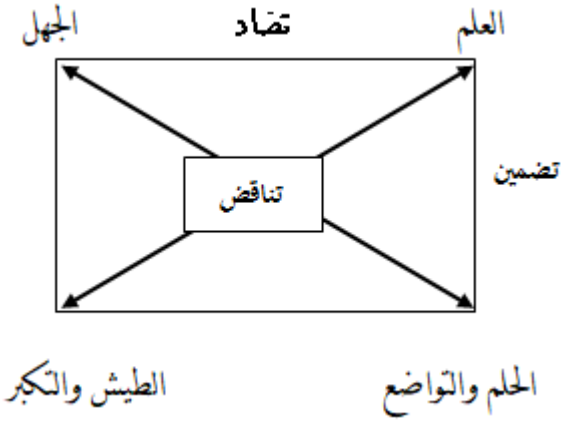

فمن المفروض أن العلم يعلم صاحبه الحلم والتواضع، والجهل يورث صاحبه الطيش والتكبر كما هو حاصل مع شخصية الرجل المغربي في مقامة الوهراني، كما أن العلم والحلم والتواضع عكس الجهل والطيش والتكبر.

6.خاتمة:

إن مقامة شمس الخلافة ثرية وتحمل الكثير من الدلالة، ومن خلال دراستنا المتواضعة خرجنا بمجموعة من النتائج أهمها:

- إن المنهج السيميائي قادر على استخراج مكنونات نصوص الوهراني، وهذا لا يعني أن المناهج الأخرى قاصرة، بل كل منهج يركز على جانب ما، وما يميز السيميائية أنها لا تكتفي بالظاهر وإنما تهتم بالتأويل والدلالة.

- المقامة عكست ظروف عصر الوهراني، خاصة في الجوانب الثقافية والاجتماعية.

- الوهراني لم ينطلق من فراغ في عمله، فنجد له الكثير من الاستشهادات من الأشعار والأمثال، والتناصات بين مقامته ومقامات الهمذاني، كما أنه تأثر بالجاحظ في أسلوبه الساخر، إلا أنه أبدع عندما جمع بين هذا الكم الزاخر، وأصبح له طابع خاص وطريقة متميزة في معالجته لمواضيعه.

- تعد كتاباته من أولى التجارب في الأدب الجزائري، والتي أعطت دفعا متميزا للأسلوب في الأدب العربي .

– كان الوهراني حقا مبدعا ومتميزا، وقد يكون من أسباب إبداعه، هجرته من المغرب إلى المشرق، والإخفاق الذي حدث له هناك، ومخيلته الواسعة، واختلاف جوانب ثقافته.

فنقترح على الدارسين أن ينفضوا الغبار عن نصوص الوهرانيّ، فهي متعددة بين منامات ورسائل ومقامات، لأنها ثرية بمواضيعها غنية بدلالاتها، كما أنها تربط الماضي بالحاضر والأصالة بالمعاصرة، وأن تكون تلك الدراسات منوعة تشمل الشكل والمضمون وتدرس الظاهرة في إطارها الأفقي والعمودي، لأن كل هذه الجوانب تتصل ببعضها بطريقة أو بأخرى، فالأدبي له علاقة باللغوي، والمنهج النفسي له علاقة بالاجتماعي، والاجتماعي له علاقة بالتاريخي...وهكذا.

8. الهوامش:[1]

[1]

1- عمر بن قينة، فن المقامات في الأدب العربي الجزائري، دط، دار المعرفة ، الجزائر، 2007، ص57-58.

2 – ابن منظور، لسان العرب، تح: مجموعة من الباحثين، م5، دط، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص3781.

3 – شوقي ضيف،المقامة، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994 ، ص8.

4- عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، 1992، ص175.

5 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، ج 1994،4، ص385-386.

6 – ركن الدين محمد الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تح: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة وتقديم عبد العزيز الأهواني، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر،2007 .

7- وهي موضع بالشام معروف، قال ابن برِّي: جلق اسم دمشق. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، م1، ص662.

8 – عبد المجيد العابد،"النقل الديداتيكي للمفاهيم السيميائية"، مجلة علوم التربية. دورية مغربية متخصصة،المغرب، ع 39، يناير 2009، ص 120-128.

9- ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق ، م4، ص3189- 3190.

10- ابن منظور، المصدر السابق، م2، ص987.

11- حميد لحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991، ص56.

12- المرجع نفسه، ص62.

13- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2003، ص199.

7. قائمة المراجع:

1- حميد لحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991.

2- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت.

3- ركن الدين محمد الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تح: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة وتقديم عبد العزيز الأهواني، صدر الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007، سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر،2007 .

4- شوقي ضيف،المقامة، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994.

5-عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، 1992.

6- عبد المجيد العابد،"النقل الديداتيكي للمفاهيم السيميائية"، مجلة علوم التربية. دورية مغربية متخصصة،المغرب، ع 39، يناير 2009.

7-عمر بن قينة، فن المقامات في الأدب العربي الجزائري، دط، دار المعرفة ، الجزائر، 2007.

8- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 2003.

9- ابن منظور، لسان العرب، تح: مجموعة من الباحثين، م5، دط، دار المعارف، القاهرة، 1981.